

حمزة المصطفى*

أزمة عرسال: سياقات المواجهة المسلحة وتداعياتها

” في مطلع آب/أغسطس ٢٠١٤، اندلعت مواجهة في بلدة عرسال اللبنانية بين فصائل مسلحة تقاتل في سورية، من ضمنها فصائل جهادية؛ كتنظيم الدولة الإسلامية، وجبهة النصرة من جهة، والجيش اللبناني من جهة أخرى. واستمرت هذه مواجهة نحو خمسة أيام، وانتهت بانسحاب المسلحين السوريين من البلدة تطبيقاً لمبادرة رعتها هيئة علماء المسلمين في لبنان، والمؤسسة اللبنانيّة للديمقراطية وحقوق الإنسان (لايف) للديمقراطية وحقوق الإنسان. في ظلّ الروايات المتناقضة والاتهامات المتبادلة نقف في هذه الورقة على حقيقة ما جرى في عرسال، وسياقات تطور الأزمة، ومواقف الأطراف المختلفة وحساباتها، والتداعيات الناجمة عنها سورياً، ولبنانيًا.

* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

خصوصية عرسال في الثورة السورية

المحرقات في سورية) عصب التهريب في المنطقة؛ لكونها المادة الأكثر ربحاً، والأكثر طلباً في السوق اللبناني، وذلك بسبب الفارق الكبير في أسعار المازوت بين سورية ولبنان^(٥).

وقد خلقت عقود التهريب، والحركة التجارية النشطة بين البلدة وقرى القلمون في الجانب السوري، إضافةً إلى خصوصيتها الطائفية، واقعاً اجتماعياً خاصاً بعرسال مميّزاً لها من غيرها من قرى البقاعين الأوسط والشمال (عرسال بلدة سنّية تحيط بها قرى وبلدات ذات أغلبية شيعية). فازدادت المصاهرات مع الجانب السوري، وتعرّزت صلات القرى، وتشابهت العادات والتقاليد، فأصبحت البلدة، في حال مقارنة المسألة من زاوية اقتصادية واجتماعية، أقرب إلى أن تكون بلدة "سورية" تقع ضمن الجغرافيا اللبنانية. وفي ذاكرة التاريخ أيضاً؛ أنّ أهلها قاوموا الأتراك أواخر العهد العثماني، مقدّمين عدداً كبيراً من أبنائهم؛ إذ سُق ما يزيد على أربعين منهم في "حي البستان" في بلدتهم، وأعدم آخرون في بعلبك ودمشق^(٦). ويذكر البقاعيون أنّ عرسال كانت من أبرز البلدات الراضية لتشكيل دولة لبنان الكبير والمطالبة بالوحدة مع سورية. وتقف جرد البلدة، من خلال ذاكرة أهاليها، شاهدة على انضمامهم إلى الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥، خصوصاً في المعركة الشرسة ضدّ الجيش الفرنسي في محلة "جوار النقار" التي قُتل فيها ١٣ جندياً فرنسيّاً^(٧)، والتي رُفَع فيها العلم السوري (علم الوحدة) على مركزين حكوميين (المخفر والمدرسة) إبان أحداث ١٩٥٨ في لبنان^(٨).

لم تكن عرسال، منذ انطلاق الثورة السورية حتى مطلع عام ٢٠١٣ - على الرغم من تفاعل أهلها وتأييدهم لها بحكم الخصوصية السابقة - في دائرة الضوء لبنانياً أو سورياً، واقتصرت دور البلدة خلال مرحلة الاحتجاجات السلمية عام ٢٠١١ على احتضان بعض العائلات النازحة طوعاً أو كرهاً، وتزويد قرى القلمون السورية عبر التهريب العكسي بالبضائع الأساسية (مثل الطحين، والسكر، والأرز، والمازوت.. إلخ). غير أنّ هذه البضائع تناقصت تدريجياً متأثرةً بالارتدادات الاقتصادية للأزمة السياسية. وازدادت أهمية عرسال

تقع عرسال في قضاء بعلبك في محافظة البقاع اللبنانية ضمن سلسلة جبال لبنان الشرقية، وهي بلدة حدودية تشترك مع سورية بخط حدودي طوله ٥٠ كم. كما أنها بلدة معزولة من جهة محيطها الجغرافي؛ إذ تبعد ٣٨ كم عن بعلبك، مركز القضاء، و٧٥ كم عن زحلة مركز محافظة البقاع^(٩)، و١٢٠ كم عن العاصمة بيروت، و١٠ كم عن الطريق العام بعلبك - اللبوة - الهرمل. وتُعد عرسال من كبريات البلدات اللبنانية؛ فمساحتها تبلغ نحو ٣١٦,٩ كم^٢، وأراضيها تشكّل نحو ٥٪ من مساحة لبنان^(١٠). ويعتمد أهلها البالغ عددهم نحو ٤٠ ألف نسمة تقريباً^(١١) على ثلاثة مصادر بوجه عام؛ هي التجارة، والكسارات (مقالع الحجر العرسالي)، والزراعة، في حين يشكّل قطاع الخدمات والوظائف العامة والخاصة، بحسب إحصاءات غير رسمية، مصدرًا لنحو ١٠٪ من سكانها^(١٢). ومعروف عن هذه البلدة أيضاً صناعة السجاد المحلي، وانضمام عدد كثير من شبابها إلى الجيش اللبناني والدرك.

وتعاني عرسال، مثل غيرها من قرى بعلبك وبلداتها، التهميش الاقتصادي والاجتماعي، وغياب التنمية والخدمات الصحية والتعليمية. ويضعف من تهميشها التنموي قلة مواردها، وطبيعتها الصحراوية الجرداء، وموقعها على الحدود السورية. نتيجةً لذلك، اعتمد عدد كثير من أهاليها على "حرفة" التهريب، فأصبحت مركزاً للبضائع والسلع المهربة بين سورية (القلمون) ولبنان، وبخاصة مادة المازوت التي كانت تشكّل قبل عام ٢٠١٠ (تاريخ رفع أسعار

١ "عرسال: بلدة لبنانية تؤيد الثورة السورية"، الجزيرة نت، ٢٠١٤/١١/١٧، على الرابط:

<http://goo.gl/IwCtL0>

٢ "عرسال عرش إيل يتجسّد بشراً وحجرًا"، مجلة الجيش، (حزيران، ٢٠٠٨)، العدد ٢٧٦، على الرابط:

http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?18473#_U_NK-vmSy-0

٣ يُقدّر عدد السكان الإجمالي بنحو ٤٠٠٠٠ نسمة، موزعين على ٦٠٠٠ أسرة، بمعدل ٦,٦ أشخاص للأسرة الواحدة (نسبة ٤٨٪ ذكراً و٥٢٪ إناثاً). ويبلغ عدد الناخبين في هذه البلدة ١٤٠٠٠ ناخب، وهي تعرف نحو ٧٠٠ ولادة سنوياً؛ ما يرفع نسبة الزيادة السكانية إلى أكثر من ٢٪. ومن أبرز العائلات في عرسال: الحجري، والقلبي، وعز الدين، والأطرش، وزعور، وكرنبي، وخلف، وأمون، وغيرها. ويُقدّر عدد المقيمين في البلدة بنحو ٣٥٠٠٠ نسمة، وعدد النازحين بنحو ٥٠٠٠ نسمة موزعين على مشاريع القاع، وقب إلياس، وبعلبك، وبيروت. وقد شهدت البلدة قبل الأحداث السورية حركة نزوح معاكسة نظراً إلى ازدياد فرص العمل فيها (الكسارات والتهريب). وتُعد نسبة الهجرة والاعتراب في البلدة ضئيلةً (نحو ٣٠ عائلةً مغتربةً في دول أوروبا، وكندا، والخليج العربي، وليبيا.. إلخ).

٤ "عرسال: بلدة لبنانية.."، المرجع نفسه.

٥ حسين سلطان: "التهريب بين عرسال وسوريا.. ردّ للجميل"، المदन، ٢٠١٤/٧/٣١، على الرابط:

<http://www.almodon.com/economy/e128a4c5-01a6-40fe-bc35-9ff47aa2125e>

٦ "عرسال عرش إيل.."، المرجع نفسه.

٧ المرجع نفسه.

٨ سعود المولى، الشيعة اللبنانيون في تبلور وعيهم الوطني، ط ١ (بيروت: دار الجديد، ٢٠٠٧)، ص ٣٧.

لقد غيّر دخول حزب الله والمليشيات العراقية ومقاتلين أجنبي آخرين^(١٠) الموازين العسكرية في الربع الأول من عام ٢٠١٣؛ إذ صدّ هجوم المقاتلين المعارضين على العاصمة، ومن ثمّة طوّقهم في الغوطين الشرقية والغربية، وقطع، عند بلدي العبادة والعتيبة، جميع طرق الإمداد الرئيسة للأسلحة والمساعدات المقبلة عبر البادية السورية، وعبر الأردن أيضاً؛ وهو ما زاد منطقة القلمون أهميةً، بالنظر إلى أنها أصبحت شريان الحياة الوحيد بالنسبة إلى الغوطة الشرقية من خلال منطقة عدرا، وزاد المعارضة اعتماداً على المعابر اللبنانية غير الشرعية، وبخاصة معابر عرسال.

واستكمالاً لتكتيك عزل المعارضة المسلحة، بدأت معركة القصر التي أعلن خلالها الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله صراحةً عن مشاركة مقاتليه إلى جانب النظام، تحت ذريعة حماية قرى سورية (يقطنها لبنانيون شيعة) قرب القصر. وقال الحزب بعد ذلك إنه يقوم بحماية المقدسات الدينية الشيعية (مقام السيدة زينب في دمشق)، ثم أعلن أنه يقوم باستباق الخطر التكفيري على لبنان، إلى جانب اعتماده حجة حماية ظهر المقاومة.

كيفما كان الأمر، نجح النظام السوري، وحزب الله في السيطرة على القصر، والقرى المحيطة بها، لتفقد المعارضة، كما ذكرنا سابقاً، أهمّ منفذ لإمدادات السلاح المقبلة من لبنان، ولتصبح بلدة عرسال التي كانت قد استقبلت آلاف اللاجئين من القصر، الرئة الوحيدة الباقية للثورة في الشريط الحدودي مع لبنان.

كانت معركة القصر مؤشراً على واقع عسكري جديد تتعرض فيه المعارضة السورية المسلحة لسلسلة من الانتكاسات في مناطق حيوية؛ كريف حمص الجنوبي، والقلمون، ومدينة حمص، والغوطين، وحلب^(١١). وفي ظلّ التراكم العسكري والمعنوي، أطلق النظام وحلفاؤه أواخر عام ٢٠١٣، حملةً عسكريةً سُمّيت "معركة القلمون" التي جاءت على جولات عديدة، والتي سعى النظام خلالها للسيطرة على ما اصطلح على تسميته "سورية المفيدة" التي تصل العاصمة دمشق بالساحل، مروراً بالمنطقة الوسطى في القلمون وحمص؛ لعزل

١٠ تشير التقديرات إلى أنّ عدد المقاتلين الأجانب إلى جانب النظام يصل إلى نحو ٣٠ ألف مقاتل. للتوسع في هذا الموضوع، انظر: حمزة المصطفى، "جهاد الممانعة والغيبات.. المقاتلون الأجانب مع النظام السوري"، العربي الجديد، ٢٠١٤/٥/٥، على الرابط:

[http://www.alaraby.co.uk/opinion/cea40a90-8793-4e2a-8f68-](http://www.alaraby.co.uk/opinion/cea40a90-8793-4e2a-8f68-0b1ffdcef0e3#sthash.urQdIGqS.dpuf)

[0b1ffdcef0e3#sthash.urQdIGqS.dpuf](http://www.alaraby.co.uk/opinion/cea40a90-8793-4e2a-8f68-0b1ffdcef0e3#sthash.urQdIGqS.dpuf)

١١ للوقوف على تداعيات معركة القصر، انظر: "معركة القصر: التداعيات والآثار"، المرکز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣/٥/٢٣، على الرابط:

<http://www.dohainstitute.org/release/23f50d5e-ec95-48d6-8cca-90d73030af6f>

تدريجياً في مرحلة الثورة المسلحة؛ إذ تحولت البلدة إلى منفذ لإمدادات الأسلحة المقبلة من لبنان في اتجاه القلمون، وريف حمص. وخلال الفترة الممتدة ما بين مطلع عام ٢٠١٢ ومنتصف عام ٢٠١٣، كانت منفذاً من المنافذ والمعابر غير الشرعية (عددتها نحو ١٧ معبراً) الممتدة عبر شريط حدودي من القصر في ريف حمص الجنوبي، إلى الزبداني في ريف دمشق. وعلى الرغم من ذلك لم تحط، في ظلّ الدور الأساسي والمحوري لمدينة القصر الحدودية الذي يكمن في تزويد المعارضة السورية في حمص وريفها بالسلاح والمساعدات الأخرى، باهتمام كبير، سواء كان ذلك من المعارضة، أو من النظام السوري، أو من الدولة اللبنانية نفسها.

”

تعاني عرسال، مثل غيرها من قرى بعلبك وبلداتها، التهميش الاقتصادي والاجتماعي، وغياب التنمية والخدمات الصحية والتعليمية

”

ولكن طرأت في الربع الأول من عام ٢٠١٣ تغيرات في الوضع السوري ألقت بظلالها على لبنان عموماً، وعرسال خصوصاً. فحلفاء النظام في الإقليم الذين قيّموا الوضع الميداني خلال عام ٢٠١٢، توصلوا إلى قناعة مؤداها عدم نجاح الجيش السوري والمليشيات المدنية التي تأسست في جهاز عسكري (عُرف باسم جيش الدفاع الوطني) في وقف تقدّم المعارضة، ولا سيما بعد أن هددت دمشق، وتقدمت بخصوص عدّة مناسبات في اتجاه ساحة العباسيين وأوتوستراد العدوي في قلب العاصمة نفسها. وبناءً عليه، بدأت إيران، الحليف الرئيس للنظام في المنطقة، تزجّ ميليشيات وأحزاباً تابعة لها في القتال إلى جانب النظام. فجاء تدخل حزب الله والمليشيات العراقية لوقف تقدّم المعارضة المسلحة وإنقاذ النظام في العاصمة في المرحلة الأولى، وقلّب المعادلة العسكرية في مراحل أخرى. والجدير بالذكر أنّ نائب وزير الخارجية الروسي، ميخائيل بوغدانوف، نقل في لقاء صحفي مع جريدة الحياة (٢٢ حزيران/ يونيو ٢٠١٣)، عن الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، قوله: "إنّ التدخل في سورية تقرّر بعدما وصل المقاتلون المعارضون إلى دمشق، وكادوا يحتفلون بالنصر"^(٩).

٩ "بوغدانوف لـ"الحياة": نصر الله أبلغني أنه تدخل لمنع سقوط دمشق"، الحياة، ٢٠١٣/٦/٢٠، على الرابط:

<http://alhayat.com/Details/525592>

خريطة موقع عرسال



المصدر: الخريطة من إعداد الباحث. وتشير الأسهم إلى حركة اللجوء من قرى القلمون إلى عرسال.

والزبداني (حسمها النظام في شهر نيسان/ أبريل ٢٠١٤)، ورابعتها في ريف حمص (عزله النظام تدريجياً خلال النصف الأول من عام ٢٠١٤). وبعد ذلك، يتطلب الأمر جولةً خامسةً داخل الأراضي اللبنانية؛ أي في عرسال تحديداً^(١٣).

نتج من معارك القلمون، فقدان المعارضة لمراكز المدن والقرى في المنطقة، وانتقالها إلى الجرد، ودخولها في معارك استنزاف ضدّ حزب الله والنظام. كما تسببت معارك القلمون في تهجير عشرات آلاف اللاجئين، الذين لم يجدوا إلا عرسال ملجأً بحكم ديمغرافية قضاء بعلبك، وخصوصاً أنها قريبة من سورية؛ ما يُمكن المقاتلين في سائر جبهات القلمون (رأس المعرة، وفليطة، وأطراف رنكوس) من التواصل مع عائلاتهم وأقاربهم الذين سكنوا في البلدة. وقد

المعارضة في الهوامش والأطراف، وذلك قبل الاستحقاقات السياسية التي كانت مطروحة يومئذ؛ كمؤتمر جنيف ٢، والانتخابات الرئاسية مثلاً.

وكان المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات قد نشر في مطلع كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٣، ورقة تقدير موقف بعنوان "معارك القلمون: حسابات أطراف الصراع ورهاناتها"^(١٤). وقد تطرقت هذه الورقة إلى أهمية منطقة القلمون وحسابات الأطراف الفاعلة، وخلصت إلى أنّ حسم معارك القلمون يتطلب أربع جولات رئيسة داخل سورية، وأولها في المناطق القريبة من الطريق الدولية؛ وهي النبك، وقارة، ودير عطية، ومعلولا (حسمها النظام في تشرين الأول/ أكتوبر- تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣). وثانيتها في يبرود (حسمها النظام في شهر آذار/ مارس ٢٠١٤)، وثالثتها في مثلث عسال الورد، ورنكوس،

١٣ انظر: "معارك القلمون: حسابات أطراف الصراع ورهاناتها"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣/١٢/٤، على الرابط: <http://www.dohainstitute.org/release/c1979ab6-0f28-4621-aa58-1595999984b1>

١٤ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣/١٢/٤، على الرابط: <http://www.dohainstitute.org/release/c1979ab6-0f28-4621-aa58-1595999984b1>

أحمد الأسير التي بدأت أواخر عام ٢٠١٢، وانتهت بمواجهة مع الجيش اللبناني قُتل خلالها ١٦ جندياً قبل أن يحسمها هذا الجيش في ٢٥ حزيران/ يونيو ٢٠١٣^(١٦)، وباشتباكات طرابلس بين باب التبانة (السنة) وجبل محسن (العلويين) التي تدخل فيها الجيش عدّة مرات، محاولاً تطويقها.

”

إعلان بعبدا، أو ما أطلق عليه "سياسة النأي بالنفس"، لم يصمد طويلاً في ظلّ اندفاع الفرقاء السياسيين في لبنان للتدخل في الأزمة السورية ودعم حلفائهم

“

لم يُجدِ التكتيك "الإطفائي" نفعا في تحييد لبنان عن الأزمة السورية. وجاء خطاب الأمين العامّ لحزب الله حسن نصر الله، بتاريخ ١ أيار/ مايو ٢٠١٣، معلناً عن مشاركة مقاتلي الحزب في القتال داخل سورية، ليخلط الأوراق في لبنان. فمبدأ النأي بالنفس لم يُعد قائماً، حتى وإن دأبت الحكومة اللبنانية السابقة برئاسة نجيب ميقاتي على إعلان تمسكها به. وبناءً عليه، دخل لبنان مرحلةً جديدةً يعيش فيها على وقع ما يجري في سورية أمنياً وسياسياً، وشهد خلالها سلسلة من التفجيرات المفخخة والانتحارية، قبل أن تندلع أزمة عرسال على النحو الآتي^(١٧):

- الضاحية الجنوبية، ٩ تموز/ يوليو ٢٠١٣.
- السفارة الإيرانية، ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٣.
- الضاحية الجنوبية، ٢ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤.
- الهرمل، ١٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤.
- حارة حريك، ٢١ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤.
- الشويفات، ٣ شباط/ فبراير ٢٠١٤.
- بئر حسن، ١٩ شباط/ فبراير ٢٠١٤.
- ظهر البيدر في البقاع، ٢٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٣.

تراوح عدد السوريين اللاجئين إلى عرسال، بحسب تقديرات غير رسمية، بين ١٠٠ و١٢٠ ألف شخص؛ أي ما يفوق عدد سكانها ثلاثة أضعاف^(١٤). وتدرجياً تحولت عرسال إلى بلدة لبنانية، لكنها سورية في حسابات جميع الأطراف الفاعلة.

لبنانياً: عرسال ملف أمّني طارئ

بخلاف ارتباطها الوثيق بسورية اقتصادياً واجتماعياً، لم تكن عرسال ضمن أولويات الدولة اللبنانية. وعلى غرار ما أوضحنا من قبل، عانت البلدة التهميش وغياب التنمية، شأنها في ذلك شأن قرى قضاء بعلبك ومدنها. وباستثناء بعض الحواجز العسكرية في الطرق المؤدية إليها، والواقعة على مداخلها، غابت الدولة اللبنانية عن عرسال غياباً شبه كلياً.

وغداة انطلاق الثورة السورية، انقسم الفرقاء اللبنانيون سريعاً في الموقف تجاهها بين مؤيد، ومناوئ، ومتحفّظ. وبمرور الشهر، عمق الموقف من الثورة السورية الاستقطاب اللبناني، وزاد الشرخ القائم أصلاً بين القوى السياسية. وفي محاولة لتجنب لبنان ارتدادات الأزمة السورية توافقت القوى اللبنانية في ١١ حزيران/ ٢٠١٢ على إعلان بعبدا الذي حدّد في بنديه ١٢ و١٣ الأطر العامة للموقف اللبناني من الأزمة^(١٥)، وذلك على النحو الآتي:

- تحييد لبنان عن سياسة المحاور والصراعات الإقليمية والدولية، وتجنبيه الانعكاسات السلبية للتوترات والأزمات الإقليمية.
- الحرص على ضبط الأوضاع على طول الحدود اللبنانية السورية، وعدم السماح بإقامة منطقة عازلة في لبنان وباستعمال لبنان موقراً لتهديب السلاح والمسلحين، أو موقراً لهذا التهريب.
- لكنّ إعلان بعبدا، أو ما أطلق عليه "سياسة النأي بالنفس"، لم يصمد طويلاً في ظلّ اندفاع الفرقاء السياسيين في لبنان للتدخل في الأزمة السورية ودعم حلفائهم، سواء كان هذا الدعم مادياً، أو لوجستياً، أو عسكرياً مباشراً، وهو ما ترك تداعيات مختلفة وأدّى إلى حرائق ومواجهات طائفية عدّة؛ كأحداث صيدا في مجمع الشيخ "السلفي"

١٤ "عرسال الحدودية تستفيد طيباً من وجود اللاجئين السوريين.. وتخسر اقتصادياً ومالياً"، الشرق الأوسط، ٢٩/٧/٢٠١٤، على الرابط:

<http://www.aawsat.com/home/article/147631>

١٥ "إعلان بعبدا الصادر عن هيئة الحوار"، موقع رئاسة الجمهورية اللبنانية، ١١/٦/٢٠١٢، على الرابط:

<http://www.presidency.gov.lb/Arabic/News/Pages/Details.aspx?nid=14483>

١٦ "الجيش اللبناني يحكم سيطرته على مجمع الشيخ أحمد الأسير بعد مقتل ١٦ من جنوده"، فرانس ٢٤، ٢٥/٦/٢٠١٣، على الرابط:

<http://goo.gl/bCRJ9b>

١٧ انظر: "أخبار تفجيرات لبنان"، سكاى نيوز عربية، على الرابط:

<http://goo.gl/R6Fiz3>

وعمليات انتقامية قامت بها فصائل جهادية؛ مثل اغتيال سورين، في ٢٦ شباط/ فبراير ٢٠١٤، في جرود عرسال، هما علي ومحمد الكوز، بتهمة العمالة للنظام السوري، واتهامها بجهة النصر بالوقوف وراء عمليات الاغتيال^(٢٠)، ومثل مقتل مصطفى نجيب عز الدين وولده، في ٨ تموز/ يوليو ٢٠١٤، واتهام مجموعة من تنظيم الدولة الإسلامية بذلك إثر تسللها إلى عرسال^(٢١).

يمكن القول إن تدخل حزب الله قد ساهم في جرّ لبنان إلى الصراع السوري، وفتح ثغرة مكنت الفصائل الجهادية من التغلغل إلى لبنان، وتفعيل خلايا نائمة فيه. وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة إلى حزب الله والمطالبات الرسمية والشعبية بسحب قواته من سورية، فإنه رفض ذلك، واستمر على معاركه في القلمون، مستفيداً من هشاشة الحكومة اللبنانية، وضبابية موقف الجيش، بل انحيازه إلى الحزب في كثير من المواقف والمواجهات، والقبول الضمني دولياً بتدخله العسكري؛ وهو ما قاد إلى تفجيرات كان آخرها ما جرى في عرسال.

ما الذي جرى في عرسال؟

منذ اندلاع أزمة عرسال، ظهرت روايتان متعلقتان بها. فالأولى لبنانية، وقد اتفق فيها الجانبان الرسمي والشعبي (باستثناء شرائح في الشارع اللبناني السني) على أن ما جرى في عرسال هو بداية مخطط جهادي ينقذه تنظيم الدولة الإسلامية؛ للسيطرة على لبنان، وإلحاقه بالخلافة الإسلامية التي أعلنها التنظيم في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤. أما الرواية الثانية، فهي سورية (من المعارضة)، وقد ادعت أن ما جرى هو مخطط نفذه الجيش اللبناني بالتنسيق مع حزب الله؛ لاستدراج الفصائل السورية وإشغالها عن استنزاف هذا الحزب، ولا سيما بعد خسائره الكبيرة في القلمون. كما ادعى أصحاب هذه الرواية أن اتخاذ قرار الدخول إلى عرسال كان بعد نداءات استغاثة من أقاربهم وذويهم، وعائلاتهم الموجودة في عرسال، بعد اشتداد القصف العشوائي على مخيماتهم.

وتستند الروايتان إلى حقائق قائمة، لكن السياق الذي جرت فيه المواجهة مختلف تماماً. فلا شك في أن الفصائل المسلحة في القلمون

لقد أحدثت التفجيرات خللاً أمنياً في لبنان عموماً، وفي مناطق حزب الله خصوصاً، وبرزت انتقادات حملت هذا الحزب مسؤولية استدراج الجهاديين وتفخيخ السيارات. وفي محاولة لوقف تلك التفجيرات، أعدّ حزب الله، في مطلع آذار/ مارس ٢٠١٤ لمعركة يبرود؛ ذلك أن تقييمه للأمر يبني على أن المفخخات التي تستهدف مناطقه كانت تُصنع في يبرود السورية، ثم تُنقل عبر عرسال إلى الداخل اللبناني. فجيش عناصره لحسم سريع في يبرود من أجل القضاء على "التكفيريين"، عاداً أن انتصاره فيها سيوقف التفجيرات. ولم تخلُ الحملة الإعلامية والدعائية أثناء معركة يبرود من إشارات إلى دور عرسال "التخريبي"؛ ومن ثمّة إلى ضرورة الحسم في أمرها.

”

استمرار التفجيرات في لبنان من جهة، وتدفق اللاجئين إليها من جهة أخرى، جعل من بلدة عرسال ملجأً أمنياً طارئاً تقع معالجته على الحكومة الجديدة برئاسة تمام سلام

“

إن استمرار التفجيرات في لبنان من جهة، وتدفق اللاجئين إليها من جهة أخرى، جعل من بلدة عرسال ملجأً أمنياً طارئاً تقع معالجته على الحكومة الجديدة برئاسة تمام سلام. وقد شكّلت هذه الحكومة بعد انكشاف الحسابات السورية، وفشل مؤتمر جنيف ٢ في صوغ حلّ للأزمة^(١٨). كما ساهمت عدّة أحداث في تسليط الضوء على عرسال وأزمته المتفاقمة؛ كقيام طيران النظام السوري باستهداف البلدة في عدّة مناسبات، وأزمة راهبات معلولا اللّائي جرى خطفهنّ من جبهة النصر أثناء دخولها إلى البلدة، واللّائي أطلق سراحهن بموجب صفقة أشرف على تنفيذها عباس إبراهيم المدير العامّ للأمن اللبناني، تضمنت الإفراج عن بعض المعتقلات في السجون السورية، من بينهنّ سجي الدليمي زوجة أحد قادة الفصائل الجهادية في سورية التي جرى تسليمها إلى جبهة النصر في أطراف بلدة عرسال، وذلك في مطلع شهر آذار/ مارس ٢٠١٤^(١٩)، إضافةً إلى أحداث أمنية

١٨ "لبنان: حكومة تستبقي الفراغ الرئاسي"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤/٢/٢٥، على الرابط:

<http://www.dohainstitute.org/release/0a2e352f-7081-450b-b3cf-6cc894bc8bf7>

١٩ لمشاهدة عملية التبادل، انظر: "عملية تبادل راهبات معلولة"، مقطع فيديو، يوتيوب، ٢٠١٤/٣/١٠، على الرابط:

<http://www.youtube.com/watch?v=zf9dZw0nC9s>

٢٠ "انسحاب مقاتلو داعش من بلدات في شمال سوريا ووجهة النصر تعدم اثنين بجرود عرسال شرق لبنان"، القدس العربي، ٢٠١٤/٢/٢٨، على الرابط:

<http://www.alquds.co.uk/?p=138457>

٢١ "داعش تعدم شخصاً في منزله في عرسال"، الجمهورية، ٢٠١٤/٧/٨، على الرابط: <http://www.aljournhouria.com/pages/view/151856>

سماه جمعة "فجر الإسلام". ثم إن هذا اللواء نفسه قد انضم إلى غرفة عمليات القصير التابعة للمجلس العسكري الثوري في حمص وريفها. وبعد معركة القصير، انتقل جمعة إلى القلمون، وانضم إلى عُرف عمليات عديدة، قبل أن يبايع تنظيم الدولة في منتصف تموز/ يوليو ٢٠١٤^(٣٥).

ولدى سماع عناصر اللواء باعتقال قائدهم المعروف بـ "أبو أحمد" ذي الصيت الذائع في القصير والقلمون، بسبب ما يرون من "بسالته" في قتال حزب الله، نظرت إلى اعتقاله على أنه مخطط جديد ينقذه الجيش اللبناني نيابةً عن حزب الله، وعلى أنه مرتبط بمعارك القلمون الأخيرة وخسائر حزب الله فيها. فهددت تلك العناصر - معية كتائب أخرى - بإخراجه عنوةً، وبضرب حواجز الجيش إن لم يُفرج عنه في تمام الساعة الخامسة من عصر يوم الاعتقال^(٣٦). ولم يُعرف حتى الآن الدافع الحقيقي لاعتقال جمعة، فرواية الجيش التي تناقلتها وسائل الإعلام اللبنانية بعد ساعات من الحادثة تقول إن جمعة اعترف بانتمائه إلى جبهة النصرة، وإنه ينفذ مخططاً لشن هجمات عسكرية. غير أن هذه الرواية لم تكن مقنعةً، بل دحضتها عدّة وقائع؛ منها أن جمعة قد بايع تنظيم الدولة وهو على خصومة وعداوة مع جبهة النصرة، كما أنه كان يتردد - حتى بعد مبايعته للدولة - على عرسال أسبوعياً، وكان يمرّ على حواجز الجيش ويُفتش؛ فلا يحتاج اعتقاله، إذن، إلى كمين خاص.

بعد انقضاء المهلة، شنّ عناصر فجر الإسلام ومسلحون آخرون، من ضمنهم مجموعة من جبهة النصرة، هجوماً استهدف حواجز الجيش اللبناني، واختطفوا عدداً من الجنود لمبادلتهم بجمعة وآخرين ممن كان الجيش قد اعتقلهم^(٣٧). ولم يكن أمام الجيش الذي أعلن قائده جان قهوجي في عيد الجيش الأول من آب/ أغسطس ٢٠١٤، قبل يوم من اندلاع الأزمة في عرسال، أنه لن يسمح بإقامة "أي منطقة عازلة خارجة عن سلطة الدولة"، وأن ردّه "سيكون حاسماً وفعالاً عبر خطة محكمة ستظهر تبعاً على أرض الواقع وفقاً لمسار الأحداث

فكّرت مؤخرًا في نقل المعركة إلى الجانب اللبناني، وتحديدًا إلى القرى المؤيَّدة لحزب الله التي تُعدّ الخزان البشري لمقاتليه في سورية. لكنها، في ضوء نجاح تجربة حرب العصابات في استنزاف الحزب وازدياد خسائره البشرية، إضافةً إلى النتائج السلبية التي قد تترتب على دخولها إلى لبنان، غصّت الطرف عن هذا المخطط، واستمرت على تكتيكها العسكري القائم على توجيه ضربات مباغتة وسريعة لنقاط تمركز الحزب في القلمون، واستهداف مواكبه وتحركات عناصره من سورية وإليها. وبناءً عليه، ونظرًا إلى الأسباب السابقة، وإلى خصوصية عرسال، لم تفكر الفصائل السورية في افتعال مواجهة مسلحة، أو السيطرة على البلدة التي هي في الأصل خارج سلطة الدولة اللبنانية من الناحية العملية^(٣٨).

وفي تفاصيل ما جرى أن الجيش اللبناني اعتقل، في ٢ آب/ أغسطس ٢٠١٤، قائد لواء فجر الإسلام عماد جمعة الذي كان قد بايع تنظيم الدولة الإسلامية مؤخرًا، في كمين نُصّب له بالقرب من حاجز المصيدة في جرد عرسال^(٣٩)، ونقله إلى أحد مقارّه للتحقيق معه بتهمة التخطيط لشنّ هجوم عسكري على حواجز الجيش اللبناني ومراكزه^(٤٠).

كان انضمام جمعة إلى تنظيم الدولة الإسلامية، في ما يبدو، الدافع الظاهر لاعتقاله، ولا سيما بعد تهديدات التنظيم للجيش اللبناني ودعوته العسكريين (السنة) إلى الانشقاق عنه. لكنّ هذا الأمر لم يكن ذا أهمية بالنسبة إلى الفصائل السورية؛ نظرًا إلى أن المرجعية العسكرية والسياسية للكتائب والألوية الصغيرة تتغير باستمرار. فهي تنضوي إلى تنظيمات ومجالس عسكرية تكفيها الدعم المادي العسكري، بغضّ النظر عن قناعتها بأفكارها أو توجهاتها. وفي سيرة لواء فجر الإسلام وقائده ما يؤكّد ذلك، فقد برز اسم عماد جمعة في منطقة القصير بريف حمص، أوائل عام ٢٠١٢، عندما تحولت الثورة السورية إلى ثورة مسلحة، وأسس آنئذ كتيبةً سُميت "أبي الخباب"، وقد ضمّت مجموعةً قليلةً من أهالي القصير والقرى المحيطة بها. ولكن توسع العمل المسلح، وخروج القصير عن سيطرة النظام، وانضمام مزيد من المقاتلين إلى هذه الكتيبة، جعلها تتحوّل إلى لواء

٢٥ انظر: عبد الرحمن عرابي: "عماد جمعة... قائد 'فجر الإسلام' الذي أشعل عرسال"، العربي الجديد، ٣/٨/٢٠١٤، على الرابط:

<http://www.alaraby.co.uk/politics/b861a8d0-880e-46cc-984a-3ba2befce8d6>

٢٦ مقابلة أجراها حمزة المصطفى مع محمد أبو ياسر، أحد المقاتلين السابقين في القصير، المقيم في بلدة عرسال اللبنانية.

٢٧ الجنود المخطوفون هم: ناهي بو خلفون، ومحمد حميش، ومحمد القادري، وإبراهيم شعبان، ووائل درويش، وأحمد غية، وريان سلام، والرفيق جورج خوري. انظر: "بالأسماء: أسرى الجيش اللبناني الذين اختطفوا من قبل العناصر الإرهابية"، الحدث نيوز، ٤/٨/٢٠١٤، على الرابط:

<http://www.alhadathnews.net/archives/131777>

٢٢ شهادة من قائد ميداني في جبهة النصرة في القلمون لا يرغب في ذكر اسمه.

٢٣ بخلاف بعض الروايات الإعلامية اللبنانية، لم يكن عماد جمعة مسلحًا، فعندما كان ينقل أحد جرحى معارك القلمون إلى عرسال، اعتقل خلف حاجز الجيش في كمين، من دون أن يرقام أو يطلق النار، ومن دون حصول أي اشتباك.

٢٤ انظر: "المخطط الإرهابي يسعى لزع لبنان في حرب المنطقة"، إذاعة النور، ٥/٨/٢٠١٤، على الرابط:

<http://www.alnour.com.lb/newsdetails.php?id=69504>

الإسلامية إلى البلدة وانتشروا فيها، تبعهم في ذلك مقاتلو النصر، ومقاتلون سوريون ينتسبون إلى فصائل إسلامية والجيش الحر، بعد نداءات استغاثة من أهاليهم في عرسال حينما وجودوا أنفسهم تحت وابل من القذائف التي لا يمكن تحديد مصدرها بدقة.

”

خصوصية الجيش وموقعه قد فرضاً على جميع القوى السياسية اللبنانية، ومن ضمنها تلك التي تعلن تأييدها للثورة السورية، تبني موقفه وروايته، وإعلان الدعم الكامل لمواجهته المفتوحة في عرسال

“

وعلى الرغم من إدراك الجيش اللبناني لصعوبة الحسم في عرسال، فإنه صعد من قصفه العشوائي وغض النظر عن قصف مشابه انطلق من قرى مؤيدة لحزب الله؛ كبدة اللبوة مثلاً. وبخلاف طريقة تعامله مع قصف طيران النظام السوري المستمر منذ أكثر من عام على عرسال وجرودها، وقصفه لقرى لبنانية حدودية لها كما جرى في بلدة الطفيل في ٢٦ حزيران/ يونيو ٢٠١٤^(٣٢)، لم يبادر الجيش اللبناني إلى احتواء الأزمة وحلها بأدوات ناعمة، بل إنه جيش في خطابه لمواجهة، وحرب مفتوحة ضد الإرهابيين والتكفيريين والغرباء. وفي محاولة لاحتواء الأزمة ومنع تفاقمها، بدأت هيئة علماء المسلمين في لبنان منذ اليوم الثاني من اندلاعها (٣ آب/ أغسطس ٢٠١٤) بالوساطة بين الطرفين، وتوصلت في ٥ آب/ أغسطس ٢٠١٤، إلى هدنة إنسانية، سرعان ما حُرقت؛ فتجددت الاشتباكات^(٣٣).

ما هو مؤكد، أن الفصائل المسلحة - بما فيها الجهادية - لم تكن راغبة في استمرار المواجهة وتوسّعها مع الجيش اللبناني، لقناعتها بأن قرار الدخول إلى عرسال كان خطأً، وأنه فُرض عليها لحماية "اللاجئين"؛ فاستجابت مبكراً لمبادرة الشيخ سالم الرافعي رئيس هيئة علماء المسلمين، والأستاذ نبيل الحلبي ممثل مؤسسة لايف للديمقراطية

٣٢ للوقوف على ما جرى في بلدة الطفيل انظر: نائر غندور، "احتلال سوري لأرض لبنانية"، العربي الجديد، ٢٠١٤/٦/٢٦، على الرابط: <http://www.alaraby.co.uk/opinion/891ad969-f6bb-4af9-b883-cf58c3f42de2>

٣٣ "انهيار الهدنة وعودة الاشتباكات في بلدة عرسال اللبنانية"، بي بي سي عربي، ٢٠١٤/٨/٥، على الرابط: http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/08/140805_lebanon_ersal_truce.shtml

والتطورات^(٣٤)، سوى إعلان التعبئة العامة، والحشد المعنوي. ثم إن قيادته أصدرت بياناً قالت فيه: "إنّ الجيش سيكون حاسماً وحازماً في ردّه، ولن يسكت عن محاولات الغرباء على أرضنا تحويل بلدنا ساحة للإجرام وعمليات الإرهاب والقتل والخطف"^(٣٥). وبدأ الاشتباك مع وصول وحدات عسكريّة وتعزيزات إلى عرسال، وانتهى في يومه الأول بمقتل ١١ من المسلحين السوريين في جرود عرسال، و٨ من جنود الجيش اللبناني^(٣٦).

وفي ظلّ الانقسام والاستقطاب السياسي، والشلل المؤسسي الذي عاشه لبنان خلال أزماته الحكومية منذ انسحاب القوات السورية في ٢٦ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥، بقي الجيش اللبناني المؤسسة السيادية الوحيدة التي تحظى بإجماع أغلبية القوى السياسية عليها، والتي يُنظر إليها على أنها "ضمانة" لاستمرار الدولة اللبنانية واستقرارها.

إنّ خصوصية الجيش وموقعه قد فرضاً على جميع القوى السياسية اللبنانية، ومن ضمنها تلك التي تعلن تأييدها للثورة السورية، تبني موقفه وروايته، وإعلان الدعم الكامل لمواجهته المفتوحة في عرسال؛ وهو ما رفع سقف قيادته التي نظرت إلى الموضوع من زاوية أخرى. فقد كانت عينها، منذ بدء الفراغ الرئاسي، على منصب الرئاسة؛ إذ صار من المتعارف عليه لبنانياً أنّ هذا المنصب يُمنح في أوقات الأزمات وغياب الإجماع لقائد الجيش التوافقي، بعد أن يسجل في رصيده "معركة" إنقاذية" للبنان الكيان والدولة. وبناءً عليه، عدت قيادة الجيش لمواجهة عرسال استكمالاً لمسار بدأه الجيش لمكافحة "الإرهاب" في مخيم نهر البارد عام ٢٠٠٧ ولمواجهات مع "التطرف والأصولية" (وقد حصرت ذلك في اللبنانيين السُنّة) كما جرى في صيدا وطرابلس^(٣٧). ومع تقدم وحدات الجيش لاقترام عرسال في ٣ آب/ أغسطس ٢٠١٤ وقصفه لها، دخل مسلحون من تنظيم الدولة

٢٨ "العماد قهوجي،" لن نسمح بإقامة أي منطقة عازلة"، إذاعة النور، ٢٠١٢/٧/٣٠، على الرابط: <http://www.alnour.com.lb/newsdetails.php?id=35332&searchstring=%C7%E1%DA%E3%C7%CF>

٢٩ "النصرة تقتحم عرسال" العماد قهوجي، الحياة، ٢٠١٤/٨/٣، على الرابط: <http://alhayat.com/Articles/3930629/-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D8%B1%D8%A9--%D8%AA%D9%82%D8%AA%D8%AD%D9%85-%D8%B9%D8%B1%D8%B3%D8%A7%D9%84>

٣٠ نائر غندور: "اشتعال جبهة عرسال اللبنانية: قتلى وجرحى ومخطوفون"، العربي الجديد، ٢٠١٤/٨/٢، على الرابط: <http://www.alaraby.co.uk/politics/7f25f964-fd1a-4d4e-b990-dc61b518460c>

٣١ انظر: حمزة المصطفى، "عرسال السورية، والفتح اللبناني"، العربي الجديد، ٢٠١٤/٨/١٢، على الرابط: <http://www.alaraby.co.uk/opinion/3230ddd7-e1f2-49e7-a13b-a795100493c9>

”

الفصائل المسلحة - بما فيها الجهادية - لم تكن راغبةً في استمرار المواجهة وتوسُّعها مع الجيش اللبناني، لقناعتها بأن قرار الدخول إلى عرسال كان خطأً، وأنه فُرض عليها لحماية "اللاجئين"

”

ملاحظات واستنتاجات

• يدلُّ السياق الذي جرت فيه أزمة عرسال، على أنها لم تكن أزمةً طارئةً تفاقمت فجأةً، بل إنها جاءت نتيجةً طبيعيةً لانخراط الأطراف اللبنانية عمومًا، وحزب الله خصوصًا، في الصراع السوري؛ ما أدَّى إلى لجوء عشرات آلاف السوريين، من ضمنهم عائلات المقاتلين في ريف حمص والقلمون، إلى عرسال، وخلق أزمة لم تفلح الإجراءات الإسعافية اللبنانية في منعها من الانفجار. فالسياق الذي جرى فيه اعتقال عماد جمعة، وتصريحات قائد الجيش قبيل اندلاع الأزمة بيوم واحد، إضافةً إلى تصريح رئيس بلدة اللبوة لصحيفة الشرق الأوسط في ٣٠ تموز/ يوليو ٢٠١٤ بأن "ساعة الصفر ستدق اليوم الأربعاء للقضاء على المسلحين والإرهابيين الموجودين في جرود عرسال"^(٣٨)، كلُّ ذلك يوحي بأنَّ الأزمة تبدو، في بعض جزئياتها، مخططةً. والجدير بالذكر توقُّع أغلبية اللبنانيين معركة عرسال منذ أشهر، وقد تطرقت ورقة بحثية نُشرت في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، في ١٥ يوليو/ تموز ٢٠١٤، بعنوان "السلفية اللبنانية في مظهراتها الجديدة" إلى ذلك بالقول: "غدت عرسال بفعل التعبئة الإعلامية ... تنتظر عمليةً عسكريةً تستهدفها بحجة تطهيرها من الإرهابيين التكفيريين، خصوصًا بعد نجاح حزب الله والنظام

وحقوق الإنسان. وقد نصَّت المبادرة على انسحاب تلك الفصائل مقابل إيجاد ضمانات للاجئين السوريين في البلدة. وتأكيدًا لذلك، أطلقت جبهة النصر التي تولى أميرها في القلمون "أبو مالك" التفاوض مع هيئة علماء المسلمين، ثلاثة عناصر من قوى الأمن الداخلي ك "بادرة حسن نية"؛ لإنجاح وساطة الرافي^(٣٤). في المقابل، أصّر الجيش اللبناني على اقتحام عرسال رافضًا "الهدنة مع المسلحين"^(٣٥)، لكنه ما لبث أن استجاب لمبادرة الوساطة التي نصت على ما يلي:

- تشكيل لجنة من أهالي عرسال وبعض الحقوقيين السوريين تُدير عرسال، وتستلم الوضع الأمني، وتضمن تنفيذ المبادرة بإشراف مؤسسة "لايف" لحقوق الإنسان، ورعاية هيئة علماء المسلمين.
- تلتزم الأطراف المتقاتلة كافةً بالانسحاب من عرسال وتسليمها للجنة.
- إطلاق سراح ثلاثة جنود لبنانيين ك "بادرة حسن نية" من المقاتلين، مقابل دخول الهيئات الإعلامية ومنظمات الإغاثة الإنسانية.
- يتمُّ نقل الجرحى والسماح بخروج المدنيين، وخصوصًا النساء والأطفال، وإدخال الأطباء لمعالجة من لا يُمكن نقلهم بإشراف لجنة عرسال.
- السماح بإيصال كلِّ المساعدات الغذائية والطبية والإنسانية لبلدة عرسال.

وبموجب هذه المبادرة دخل الجيش اللبناني إلى عرسال، في ٧ آب/ أغسطس ٢٠١٤، بعد انسحاب المسلحين منها^(٣٦). وكانت حصيلة المواجهات في عرسال مقتل ٢٠ جنديًا لبنانيًا^(٣٧)، و١٧ دركيًا، وأكثر من ٤٣ مسلحًا ومدنيًا سوريًا، و١٥ مدنيًا من أهالي عرسال.

٣٤ مقابلة أجراها حمزة المصطفى مع محمد أبو ياسر، المرجع نفسه، وانظر أيضًا: "وساطة العلماء" تثمر إطلاق ٣ من قوى الأمن والرافي يؤكد رغبة المسلحين في الانسحاب"، الحياة، ٢٠١٤/٨/٦، على الرابط:

<http://goo.gl/24s1jm>

٣٥ "عرسال داعمة الثورة السورية.. والمواجهة بين الجيش اللبناني والنصرة، التقرير، ٢٠١٤/٨/٥، على الرابط:

<http://goo.gl/ky46SZ>

٣٦ "انسحاب المسلحين من عرسال وبدء إخلاء الجرحى"، الجزيرة نت، ٢٠١٤/٨/٧، على الرابط:

<http://x.co/5NngPj>

٣٧ "فهوجي: عناصر الجيش اللبناني الذين فقدوا أثناء تصديهم للإرهابيين في عرسال ٢٠ عنصرًا"، سانا، ٢٠١٤/٨/١٤، على الرابط:

<http://x.co/5NngVp>

٣٨ قال أmeer "المعطيات التي بحوزتنا تشير إلى أنَّ عمليةً ستنفذ بالتعاون ما بين الجيشين اللبناني والسوري (وحزب الله) لوضع حد للإرهاب الكامن على الحدود"، وأشار إلى أنَّ "الجيش السوري سيتصرف ضمن نطاق أراضيه، فيما يتولى الجيش اللبناني وعناصر المقاومة العمليات ضمن الأراضي اللبنانية". وأضاف: "دقت الساعة وحان وقت الحسم، فما يحصل في مناطقنا وعلى الحدود لم يعد مبررًا، وتعرض أمن أهلنا في كل لحظة للخطر من خلال صواريخ يطلقها مسلحون يسرحون ويمرحون، لم يعد مقبولًا"، انظر: "اشتباكات وكماثن على الحدود اللبنانية - السورية ومقتل عنصرين من 'حزب الله'، الشرق الأوسط، ٢٠١٤/٧/٣٠، على الرابط:

<http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&tissueno=13028&article=781>

285&feature=#.U_Htyfm5y-0

في أغنية مُنشده علي بركات "اضرب قاتل حطّم دمّو.. سيطرّ على عرسال" التي جاءت مشابهةً لأغنيته السابقة "احسّم نصرُك في يبرود"؛ من حيث انطواؤها على دلالات طائفية، وتضمّنها تحريضًا واضحًا ومسبقًا على بلدة عرسال^(٤٧). كما أنّ الحزب غَصَّ الطرف عن سلوكيات مؤيديه في القرى المجاورة لعرسال، مثل اعتراض قوافل الإغاثة والمساعدات الطبية، ومنع دخولها؛ لعرقله مبادرة هيئة علماء المسلمين^(٤٨)، إضافةً إلى أنه قصف بقذائف الهاون مخيمات اللاجئين في عرسال؛ ما أدّى إلى احتراق بعضها وتشريد مئات اللاجئين. وفي السياق نفسه، قام مسلحون "مجهولون" بإلقاء قذيفة على سيارة الشيخ سالم الرفاعي أثناء خروجه من عرسال، وقد نفى الرفاعي ما جاءت به وسائل الإعلام اللبنانية بشأن استهدافه من المسلحين السوريين، وأكد ذلك بقوله: "إنّ المسلحين السوريين من هرعوا إلى السيارة، وسحبونا منها، وقتل من بينهم شخص"^(٤٩).

• من جهة أخرى، في الوقت الذي تبنّت فيه وسائل إعلام الحزب رواية الجيش في بداية الأزمة، وجيّشت ضدّ بلدة عرسال، تحدثت بعد نفاذ الوساطة عن "تسوية مذلة"، على نحو ما جاء في افتتاحية جريدة الأخبار بتاريخ ٨ آب/ أغسطس^(٥٠)، بل إنها قالت: "تركت عملية التفاوض جرحًا عميقًا في صورة المؤسسة العسكرية، لا أمام الجمهور، بل أمام ضباط وجنود كانوا يعبرّون، بوسائل مختلفة، عن تملّهم ممّا جرى"^(٥١).

• أبرزت أزمة عرسال صعود حالة عنصرية ضدّ اللاجئين السوريين ظهرت في الإعلام المرئي والمكتوب، وفي وسائل التواصل الاجتماعي، عبر الحملات التي دعت إلى طردهم إلى بلادهم ووصفتهم بالغرباء، إلى حدّ مطالبة بعضهم بقتلهم. يُضاف إلى ذلك أنّ بعض القوى اللبنانية؛ كالتيار الوطني الحر، والقوى التي لديها موقف سلبي مسبق وعنصري من اللاجئين السوريين، استغلّت الأزمة لتصعيد هجومها ضدهم.

السوري في السيطرة على كلّ المنطقة السورية المحاذية لحدود البقاع الشمالي من لبنان، ثمّ السيطرة على قرية الطفيل^(٥٢).

• تتفق جميع الفصائل المسلحة الموجودة في منطقة القلمون على أنّ عرسال اللبنانية (السورية) هي رئة الثورة ومنتفسها الوحيد الذي بقي، وتجمع أغليبتها - بما فيها جبهة النصرة - على أنّ دخول عرسال خطأً أضرَّ بها^(٥٣) وبالثورة السورية بوجهٍ عامّ، وهذا يتنافى مع الرواية الإعلامية اللبنانية التي تحدثت عن مخطط مسبق لاستهداف لبنان وجرّه إلى الصراع السوري.

• لم تتخذ الفصائل السورية القرار بالدخول من أجل حسابات إستراتيجية، أو من أجل المطالبة بإطلاق جمعة، بل خوفًا على ذوبها وأقاربها من اللاجئين. وقد أكد ذلك الشيخ سالم الرفاعي عند سؤاله عن اشتراط المسلحين إطلاق جمعة للانسحاب قائلاً: "الذي يطلب هذا الطلب غير موجود الآن، الموجودون الآن هم الخائفون على المدنيين ويريدون الانسحاب بأقرب فرصة ويطالبون بضمانة لأهلهم في عرسال وهذه المعركة ليست معركتهم، ولكن بعض الفصائل وعند اعتقال البعض من جماعتهم تورطت في هذه المعارك وفي أسر الجنود. أمّا سائر الفصائل فلم توافق على هذا، وتدخّلها كان لحماية المدنيين"^(٥٤).

• استغلّت قيادة الجيش اللبناني الإجماع الرسمي والشعبي اللبناني لتصعيد موقفها العسكري. وبدا المشهد، في إحدى صورته، كما لو أنّ قائد الجيش جان قهوجي يريد مراكمة رصيد سياسي يؤهله لشغل منصب رئيس الجمهورية إذا ما استمر غياب الإجماع على مرشّح توافقي، حتى لو تطلّب ذلك الانحياز المعلن إلى أحد أطراف المعادلة السياسية اللبنانية.

• بدا واضحًا أنّ أطرافًا لبنانيةً عديدةً - وعلى رأسها حزب الله - كانت ترغب في استمرار المواجهة، وأنها جيّشت لها إعلاميًا، سواء كان ذلك في تصريحات مسؤولي الحزب، أو

٤٢ جاد شحور "منشد حزب الله يدعو إلى السيطرة على عرسال"، العربي الجديد، ٢٠١٤/٨/٤، على الرابط:

<http://www.alaraby.com.uk/miscellaneous/8d5b7088-19b8-4828-86a1-a5f16192f9ff>

٤٣ "البوة: غضب الأهالي يمنع إغاثة عرسال"، المدن، ٢٠١٤/٨/٦، على الرابط:

<http://www.almodon.com/politics/40035408-e804-47b3-ba26-a291cd3afb8a>

٤٤ "وساطة العلماء تثمر.."، المرجع نفسه.

٤٥ "عرسال خارج السيادة: التسوية المذلة"، الأخبار، ٢٠١٤/٨/٨، على الرابط:

<http://www.al-akhbar.com/node/213139>

٤٦ المرجع نفسه.

٣٩ انظر: سعود المولى "السلفية اللبنانية، في مظهراتها الجديدة"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤/٨/١٥، على الرابط:

<http://www.dohainstitute.org/release/724d58d9-f37d-48e0-93ec-d9db12ca8abb>

٤٠ أصدرت جبهة النصرة، بعد انتهاء الأزمة، بيانًا اعتذرت فيه عن تدخلها، ووضعته في إطار الرد على قصف الجيش وحزب الله، وقالت إنها خرجت سعيًا للحفاظ على حياة المدنيين بعد ضمانات. انظر: "النصرة توضح ملبسات أحداث عرسال.. ما خذلناكم عند دخولنا ولا عند خروجنا"، زمان الوصل، ٢٠١٤/٨/٧، على الرابط:

<https://zamanalwsl.net/news/52324.html>

٤١ "وساطة العلماء تثمر.."، المرجع نفسه.

وميلها إلى سياسة هذه الدولة، ويقولون إن المعركة مع هذه الهيئة بدأت ولن تنتهي إلا بكسرها^(٤٧).

• استغل تيار المستقبل الأزمة العرسالية، ووظفها في مسعاه لإعادة تثبيت حضوره في الشارع اللبناني، ممثلاً "معتدلاً" للشارع السني، قادراً على مواجهة التطرف والأصولية. وضمن هذا السياق، جاء الموقف السعودي الداعم للحكومة والجيش اللبناني، وخطوة الملك عبد الله المتمثلة بالتبرع بمليار دولار أميركي لدعم الجيش والمؤسسات الأمنية اللبنانية، بمنزلة فرصة لرئيس تيار المستقبل سعد الحريري، ليعود إلى لبنان بعد غياب دام ثلاث سنوات، في محاولة لإعادة نفوذ التيار وحضوره، مستفيداً في ذلك من تفويض الملك السعودي له بالإشراف على صرف الهبة السعودية.

خاتمة

على الرغم من توقف الاشتباكات، وانسحاب المسلحين السوريين، فإن أزمة عرسال لم تنته بعد ولا سيما أن جبهة النصر ما تزال تحتفظ بجنود وعناصر في قوى الأمن اللبناني. وقد أقدمت في خطوة "تصعيدية" على إجبار العسكريين المختطفين على المطالبة (من خلال تصوير مسجل) بانسحاب حزب الله من سورية؛ ما يعني "تعتُّر" مبادرة هيئة علماء المسلمين التي كانت تنص على الإفراج عن هؤلاء العسكريين^(٤٨). وبناءً عليه، فإن احتمالات اندلاع المواجهة في عرسال أو مناطق لبنانية أخرى ما تزال قائمة. فالمعالجة الأمنية والسياسية التي تُجرى هذه الأزمة ولا تفحص عن الدوافع والأسباب الرئيسة لاندلاعها، وفي صدارتها الانخراط المتزايد لحزب الله في الحرب السورية، لن تنجح في توحيد لبنان.

• كان حزب الله أحد أبرز المستفيدين، فقد جاءت الأزمة في عرسال لتشرعن، ولو على نحو مؤقت، تدخله في الحرب السورية، ومنحته الفرصة لتأكيد روايته السابقة التي تقول إن تدخله "خطوة استباقية لحماية لبنان من الخطر التكفيري". وفي هذا السياق، يمكن ملاحظة التغيير في موقف النائب وليد جنبلاط الذي التقى رئيس مجلس النواب نبيه بري والأمين العام لحزب الله حسن نصر الله، معلناً عن تراجعته عن القول إن تدخل حزب الله في سورية هو الذي أتى بالإرهاب إلى لبنان. وبغض النظر عن كون موقف جنبلاط تكتيكياً، وأنه كانت بمنزلة تقديم تنازلات للحزب من أجل "تبرئته" من تهمة توريط لبنان في الصراع السوري، مقابل قبول الحزب بمرشّح توافقي للرئاسة يكون مقبولاً من تيار المستقبل، وقطع الطريق على ميشيل عون وقائد الجيش معاً، فإن هذا الموقف وموقف الحريري أيضاً يعني التسليم، ولو شكلياً، بوجود الحزب في سورية، والتنازل عن المطالبة بانسحابه.

• برز ارتباك في موقف تيار المستقبل، بسبب حساسية وضع الشارع السني الذي يتحفظ عن المواجهة إن لم يعارضها، وبسبب ضرورات ناجمة عن التزامه الموقف الأميركي السعودي المتمثل بالوقوف مع الجيش في "مواجهة الإرهاب". وفي السياق نفسه، نظر تيار المستقبل بعين الريبة، إلى جهد هيئة علماء المسلمين في وساطة عرسال، وإلى احتمال إفشاء هذه الوساطة إلى ارتفاع شعبيتها المتصاعدة؛ وهو ما يخلق صعوبات لتيار المستقبل في معركته التي تهدف إلى السيطرة على المجال السني اللبناني، على غرار ما جرى في انتخابات دار الفتوى مؤخراً. والجدير بالذكر أن مسؤولين في تيار المستقبل يتهمون الهيئة بتلقي الدعم من قطر،

٤٧ ثائر غندور، "تحديات منع الشارع السني اللبناني من الانزلاق نحو التطرف"، العربي الجديد، على الرابط:

<http://www.alaraby.co.uk/politics/73cb15ce-516b-4ce3-88f7-708b270ae69a#sthash.Jf6Ukwcr.dpuf>

٤٨ "لبنان: قصة مفاوضات تحرير الجنود المخطوفين"، العربي الجديد، ٢٥/٨/٢٠١٤، على الرابط:

<http://www.alaraby.co.uk/politics/0083eaea-50d5-4f3c-ae8-3db79085e2b1>